شرح

القصائد العشر

تأليف

أبي زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى، الشيباني
المعروف بالخطيب التبريزي
٤٢١ — ٥٠٢ هـ

حقق أصوله، وضبط غرائبه، وعلّق حواشيه

محمد محيي الدين عبد الحميد

عفا الله تعالى عنه

يطلب من ناشره
مكتبة محمد علي صبيح وأولاده بميدان الأزهر بمصر
تليفون ٩٠٦٥٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله على واسع نعائه ، والشكر له على ما أفاض من سابغ آلائه ، وصلاته وسلامه على صفوة الصفوة من رسُله وأنبيائه ، وعلى آله وصحبه وأوليائه .

وبعد ، فهذا شرح أبي زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى على القصائد العشر — وهى المعلقات السبع المختارة من شعر فحول شعراء الجاهلية ، مع زيادة قصيدة النابغة الذبيانى الدالية ، وقصيدة الأعشى ميمون بن قيس اللامية ، وقصيدة عَبيد بن الأبرص البائية — والذى طُلب إليه تأليفُه لأن شروح المعلقات التى صنعها العلماء من قبله قد « طالت بإيراد اللغة الكثيرة ، والاستشهادات عليها ، وغَرَضُ الطالب معرفةُ الغريب والمشكل من الإعراب ، وإيضاحُ المعانى ، وتصحيحُ الروايات وتبيينها ، مع جميع الاستشهادات التى لابد منها ، من غير تطويل يُملُّ ولا تقصير يخلُّ » وقد وَفّى الخطيب بما طُلِبَ منه ، ولكنه حَشَد جملة من مفردات اللغة متشابهة الرسم من غير أن يضبطها بالعبارة غالباً ، كما حَشَد جملة من قواعد النحو والصرف أكثرُهَا فى عبارة مُوجَزَة وأسلوب قد يعسر على الشادِينَ فهمُه ، وقد جانب الجادَّةَ التى عليها جمهرة علماء النحو فى بعض ما جاء به من ذلك .

وقد أردت أن أيَسِّرَ لنابتة البلاد العربية قراءة هذا الكتاب والإفادة منه ، ورأيت طبعات هذا الكتاب التى ظهر عليها قليلة الغَنَاء ؛ فليس فيها ضَبْط لهذه المفردات المتشابهة ، مع ما وقع فى أكثرها من التحريف ، فلم أجد بدا من أن أضبط كل المفردات التى وقعت فى الشرح تشابَهَتْ فى الرسم أو لم تتشابه ، كما لم أجد بداً من توضيح القواعد التى صرح بها الخطيب أو أَوْمَأ إليها إيماء ، والردّ عليه فيما اعتقدْتُ أنه لم يُصِب الجادَّةَ فيه ، وحاولت أن تكون عبارتى سَهْلَة قريبة من أذهان الذين قصدْتُ أن يفيدوا من هذا العمل .

والله المسئول أن ينفع بهذا العمل ، وأن يكتبه عنده فى سجل الحسنات .

كتبه المعتز بالله تعالى

محمد محيى الدين عبد الحميد

١ — امرؤ القيس

(١) هو حُنْدُج[1] بن حُجْر بن الحارث بن عَمْرو بن حُجْر بن عمرو بن معاوية بن مُرْتِع[2] عَمْرو بن معاوية بن ثَوْر — وهو كندة بن عُفَيْر[3] .

(٢) يحفظ له الرُّوَاة ثلاث كُنًى ، وثلاثة ألقاب .

أما كُناهُ فهى : أبو الحارث ، وأبو وَهْب ، وأبو زَيْد .

وأما ألقابه فأولها امرؤالقيس ، وبه اشتهر حتى نُسِىَ اسمهُ ، ومعناه الأولُ رجل الشِّدَّة ، وثانى ألقابه الملك الضِّلِّيل ، وأصل الضِّلِّيل مبالغة الضالّ ، وهو يحتمل معنيين : الأول أن يكون معناه التائه ؛ لأنه قضى حياته كلها غيرَ مستقر فى كَنَفِ أبيه وأهله ، فمن قَبْل مقتل أبيه أطْلَقَ لنفسه عِنَانَ المجون ، فاصْطَفَى زُمْرة من أخلاط العرب وشُذَّاذهم يرتاد بهم الغُدُر والرياض ، ويعاقر وإياهم الخمر ، ومن بَعْدِ مقتل أبيه سار متنقِّلا فى القبائل يستنجدهم على قَتَلَة أبيه ، والثانى أن يكون معناه الغَاوِى ؛ لأن الحياة التى كان يحياها حياة غواية وضلال . وأما لقبه الثالث فَذُو القُروح ، والظاهر أن هذا اللقب أجْرِىَ عليه لقوله :

وَبُدِّلْتُ قرحاً دامياً بعد صحة فيالك نُعْمَى قد تَحَوَّلْتِ أبْؤُسَا

(٣) ولِىَ المُلْكَ أربعةٌ من آبائه ، وأربعة من أعمامه ؛ أولهم حُجْر جدُّه الثالث ، وهو الذى يلقب آكِلَ المُرَار ، وهذا تملّك على بكر بن وائل بعد أن تقاطعت أرحامها ، وغلب سفهاؤها على ذوى أحلامها ، فسدّد وقارَبَ ، وساسهم سياسة رشيدة حكيمة ، وغزا بهم ملوك الحِيَرة اللَّخْميين ، وانتزع

(١) الحندج — بضم الحاء والدال بينهما نون ساكنة — فى الأصل : رملة طيبة تنبت ألوانا من النبات .

(٢) ومرتع فى أجداده يضبط بزنة محسن أو محدث .

(٣) اخترنا فى هذه الأعلام ، وفى أكثر ما رويناه أشهر الروايات وأعرفها ؛ إذ قل أن تجد خبرا يطبق الرواة عليه وعلى تفصيل وقائعه ونسق أعلامه .

أكثر ما فى أيديهم من البلاد ، وثانيهم عمرو بن حُجْر ، وهذا قام مقام أبيه فيما خلّفه من الملك ، ولم يزد عنه ، ولهذا لقبوه « المقصور » وثالثهم الحارث بن عمرو ، وكان بعيد الهمة ، قوىّ الشكيمة ، وفى عهده غضب كسرى قباذ على المنذر بن ماء السماء ، فاهْتَبَلَ الحارثُ هذه الفرصَةَ فاتصل بأسباب كسرى فأعانه على المنذر حتى استطاع أن يغلبه على ملكه ، فعَظُم أمره ، وكبر شأنه ، حتى دَعَتْه قبائل العرب إلى أن يتملَّكَ عليهم أو يُمَلِّكَ أبناءه ، فوزَّع بنيه الخمسة — وهم أبو امرىء القيس وأعمامه الأربعة — عليهم ؛ فكان حُجْر أبو امرىء القيس ملكا على أسد وغَطَفَان ، وكان شُرَحبيل بن الحارث ملكا على بكر بن وائل وحنظلة بن مالك ، وكان مَعْدِيكرب بن الحارث ملكا على تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مَنَاة بن تميم ، وكان سلمة بن الحارث ملكا على قبائل قيس بأسرها ، وكان عبد الله بن الحارث ملكا على بنى عبد القيس .

أما حجر فبدأ حياة الملك بداية صالحة ، ولكن عهده طال فثقلت وَطْأته على بنى أسد ، وقسا عليهم ، واشْتَطَّ فى فرض الإتاوات وجبايتها بالقَسْر ، فنفضوا أيديهم من طاعته ، وتربَّصُوا به ، فلما أمكنتهم الفرصة قتلوه .

(٤) وأمُّ امرىء القيس هى فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير أخْتُ كُلَيْبٍ ومُهَلْهِل ابنى ربيعة التغلبيين ، وأم أبيه حُجْرٍ امرأةٌ من عَنَزَة هى أمُّ قَطَام بنت سلمة ، وأمُّ جدّه الحارث بنتُ عَوْف بن محلّم بن شيبان ، واسمها أم إياس[1] .

(٥) وعمة امرىء القيس — واسمها هند — كانت زَوْجَ المنذر بن ماء السماء وولدت له عمرو بن المنذر الذى يقال له « عمرو بن هند » ، والذى يقال له : محرِّق ، كما ولدت له قابوس بن المنذر .

(١) هكذا فى جمهرة ابن حزم ص ٣٢٢ ، وقد ورد ذكر « أم إياس » وذكر « أم قطام » فى شعر امرىء القيس .

(٦) كان امرؤ القيس جَزْلَ الألفاظ ، جيد السَّبْكِ ، بديع الخيال ، ظريف التشبيه ، فى شعره عزة الملوك ، وتبذُّل الصعلوك ، وعَرْبَدة الماجن ، وذلة الشريد، وقد ذكر الجمحى أنه كان يتعهَّرُ فى شعره ، وذُكِرَ امرؤ القيس أمام النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يجىء يوم القيامة معه لواء الشعراء إلى النار » .

(٧) عنى العلماء بديوان شعره : فجمعه غير واحد ، وشرحه كثيرون ، وطُبع مراراً كثيرة .

(٨) وتجد لامرئ القيس ترجمة فى مطلع ديوانه ، وفى الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى (٨/٦٢ — ٧٧ بولاق) وفى الشعراء لابن قتيبة (٣٧ — ٥٦ أوربة) وفى خزانة البغدادى (٣/٥٣٢) . وفى تقريب الأغانى لابن واصل ص ١٠٠١ ، وفى سرح العيون لابن نباتة ١٨١ بولاق و٣٣٣ بتحقيق محمد أبى الفضل

وانظر العمدة لابن رشيق بتحقيقنا ١/٤١ و٤٢ و٩٧ مثلا

* * *

(١) أخرج الإمام أحمد فى مسنده (٢/٢٢٨) من حديث أبى هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار » وقد أثر هذا الحديث تاج الدين السبكى فى طبقات الشافعية ١/٢٥٦ ط الحلبى فى سنة ١٩٦٤ .

٢ — طَرَفَةُ بن الْعَبْد البَكْرِىُّ

(١) هو عمرو بن العَبْد بن سُفْيان بن سَعْد بن مالك بن ضُبَيْعَة بن قَيْس بن ثَعْلَبة بن عُكَابة بن صَعْب بن علىّ بن بكر بن وائل بن قاسِط بن هِنْب بن أفْصَى ابن دُعْمِىّ بن جَدِيلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَدّ بن عَدْنان.

وطَرَفة : لقبٌ غَلَب عليه حتى نُسِى اسمهُ ، وكَنَوْه « ابن العشرين » وقد لقبوه بعد موته « الغُلَام القتيل » .

(٢) وأمه وَرْدَة بنت عبد المسيح بن عبد الله بن دَوْفَن بن حَرْب بن جُلَىّ ابن أحْمَس بن ضُبَيْعَة بن ربيعة ، وهى أخت المُتَلَمِّس الشاعر جرير بن عبدالمسيح ، وليست من رهط أبيه كما ذكر ابن قتيبة ؛ فإن ضبيعة فى نسب أبيه ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ، وضبيعة فى نسب أمه ضبيعة بن ربيعة .

(٣) خاله المتلمس شاعر ، ومن عمومته شعراء : منهم المرقِّش الأكبر وهو عمرو بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبة ، والمرقش الأصغر وهو ربيعة ابن قيس بن سعد بن مالك بن ضُبَيعة، ومنهم عمرو بن قَمِيئَة بن سعد بن مالك ، وعمرو هذا هو صاحب امرىء القيس بن حُجْر فى رحلته إلى قيصر الروم الذى يقول فيه :

بكى صاحبى لما رأى الدَّرْبَ دونه وأيقَنَ أنا لاحقـــان بقيصرا

ومن قومه الحارث بن عُبَاد فارس النَّعَامة وابنة بُجَير المقتول فى حرب البَسُوس بين بكر وتغلب فى قصة مشهورة متعارفة .

(٤) مات أبوه وهو صغير ، فكان فى كفالة أعمامه ، فأهملوا تَرْبِيَتَهُ ولم يحسنوا تأديبه ، فعزفت نفسه عن الجدّ والدأب ، ومالت إلى الدَّعة والبطالة ، وعكف على اللهو وشرب الخمر ، واحتجن أعمامُه[1] مال أبيه عنه فلم يقسموه له ،

(١) فى رواية عند ابن قتيبة أن الذين احتجنوا مال أمه هم أخواله ، ولكن قوله « ورهط وردة غيب » يجعلنا نصحح أن أعمامه هم أصحاب هذه الخطيئة .

فحَقَدَ عليهم ، وساءت نظرته إليهم وعلاقته بهم ، فسلّطَ عليهم من لسانه سيف الهجاء ، ومن قوله فى إباء أعمامه أن يقسموا له ماله :

ما تنظرون بحقّ وردة فيكمُ صَغُرَ البَنُون،ورَهْطُ وَرْدَةَ غُيَّبُ
قد يَبْعث الأمرَ العظيمَ صغيرُهُ حَتَّى تظلَّ له الدماء تَصَبَّبُ

(٥) واتّصل هو وخاله المتلمسُ بسببٍ من عمرو بن هند ملك العرب فى الحيرة، فكانا ينادمانه ، وكان الملك يَرْفِدُهما ويَحْبُوهما ، ولكن الطيش ونَزَق الشباب غلبَا على طرفة فزيّنَا له أن يهجو الملكَ ، مع حاجته إلى رضائه ، وافتقاره إلى حِبائه، وبلغ هجاؤه الملكَ فأسَرَّه فى نفسه ، وأضمر له السوء ، واعتزم الوقيعة به ، ومما قاله فى الملك :

فلَيْتَ لنا مكان المَلْكِ عمرٍو رَغُوثا حـــول قبّتنا تَحُور
لَعَمْرُكَ إن قابوس بن هنـــدٍ ليخلِطُ مُلْكَهُ نُوكٌ كَثِيرُ

وتربّص به الملك حتى قدم عليه مع خاله المتلمس يستجديان فواضله ويستمنحان عطاياه — وكان المتلمس قد هجاه أيضاً — فلم يُبْدِ لهما سريرته ، وتلقّاهما لقاء الحفىِّ بهما ، كيلا ينتبها إلى ما يَنْويه لهما ، وأوهمهما الملك أنه قد أمر لهما بحِباء وافر ، وأحال كلَّ واحد منهما بكتاب على عامِلِه بالبحرين ليستوفيا منه ما أمر لهما به ، وكتب إلى عامله يأمره بقتلهما إذا قدما عليه ، فلما كانا فى طريقهما تذكر المتلمس هجاء الملك ، واسترابَ فى الكتاب الذى يحمله ، فعرضه على من يقرؤه له ، فلما علم بما فيه ألقاه فى النهر ، وطلب لنفسه النجاة ،وعرض على طرفةَ أن يَفُضَّ الكتاب الذى معه ، فأبى ، وأخذ سَمْتَه إلى عامل البحرين ، فقتله العاملُ تنفيذاً لأمر الملك وعمرُه يومذاك ست وعشرون سنة .

(٦) يمتاز طرفة بصدق الوصف ، وبالبعد عن المغالاة والإغراق ، وقد عَدّوه من فحول الشعراء وإن لم يؤثر عنه شعر كثير ، قال الجمحىُّ « فأما طرفة فأشعر الناس واحدة ، وهى قوله :

لخولة أطـــــلال ببُرْقَة ثَهْمَدِ وقَفْتُ بها أَبْكِى وأُبكِى إلى الغَدِ (١)

ويليها أخرى مثلُها ، وهى :

أَصَحَوْتَ اليوم أم شاقتك هِرٌّ ومن الحبِّ جُنون مستَعِرٌ

ومن بعدُ له قصائد حِسَانٌ جِياد » ا هـ .

وسئل لبيد عن أشعر الناس ، فقال : الملك الضِّلِّيل ، قيل : ثم مَنْ ؟ قال : الغُلَامُ القتيل ، قيل : ثم مَنْ ؟ قال : الشيخ أبو عَقِيل ، يعنى نفسه .

وقال أبو عبيدة : « طرفة أجْوَدُهم واحدة ، ولا يلحق بالبحور — يعنى امرأ القيس وزهيراً والنابغة — ولكنه يوضع مع أصحابه : الحارث بن حلِّزة ، وعمرو ابن كلثوم ، وسُوَيْد بن أبى كاهل .

(٧) وتجد لطرفة ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة (ص ٨٨ أوربة) وفى معاهد التنصيص (١٦٣ بولاق) وانظر مع ذلك كثيراً من أخباره فى أثناء ترجمة المتلمس من الأغانى (٢١/١٨٥ أوربة) وانظر طبقات بن سلام الجمحى ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ، والاشتقاق لابن دريد ، فى المواضع الموضحة فى فهارس هذه الكتب .

وقد جَمَعَ ديوان شعر طرفة ابنُ السِّكِّيت ، والأعلَم الشنتمرى ، وشرحه كل منهما ، وطبع ديوانه فى قازان عام ١٩٠٩ بشرح أحمد بن الأمين الشنقيطى .

وانظر مثلا كتاب العمدة لابن رشيق فى مواضع كثيرة منها ١/١٠٢ بتحقيقنا .

* * *

(١) المشهور فى عجز هذا البيت — وهى رواية الخطيب التبريزى —

* تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد *

وقد ذكر التبريزى الرواية التى ذكرها الجمحى ، ولكنه روى :

* ظللت بها . . . . . *